اخلاق المؤمنين

الإيثار



تأليف
أ د/علی راشد

رسوم
ماهر عبد القادر

المجد

رقم الإيداع: 2013/20635
المجد للنشر والتوزيع: 01006372799

بَدَأَ التِّلْمِيذُ الْحَدِيثَ فَقَالَ:

- الْيَومَ حَدَثَ مَوْقِفٌ مُثِيرٌ فِي الْمَدْرَسَةِ، فَلَقَدْ تَنَازَلَ زَمِيلُنَا "مُحْسِنٌ" عَنْ وَجْبَتِهِ الْغِذَائِيَّةِ الَّتِى أَحْضَرَهَا مِنْ بَيْتِهِ لِزَمِيلِنَا "فُؤَادٍ" الَّذِي أَخْبَرَهُ بِأَنَّ هُنَاكَ ظُرُوفًا عَائِلِيَّةً لَمْ تَسْمَحْ بِأَنْ يُحْضِرَ الْوَجْبَةَ الْغِذَائِيَّةَ الْخَاصَّةَ بِهِ، وَأَنَّهُ فِي غَايَةِ الْجُوعِ، وَرَغْمَ أَنَّ "مُحْسِنًا" كَانَ فِي حَاجَةٍ لِتَنَاوُلِ وَجْبَتِهِ الْغِذَائِيَّةِ إِلَّا أَنَّهُ فَضَّلَ زَمِيلَهُ "فُؤَادًا" عَلَى نَفْسِهِ...



اِبْتَسَمَ الْأُسْتَاذُ وَقَالَ: هَذِهِ هِيَ قِيمَةُ الْإِيثَارِ يَا بُنَيَّ.
فَالإِيثَارُ أَرْفَعُ دَرَجَاتِ الْجُودِ وَالْكَرَمِ وَالسَّخَاءِ، حَيْثُ يَتَنَازَلُ الْفَرْدُ عَمَّا يَمْتَلِكُهُ - رَغْمَ حَاجَتِهِ - إِلَى فَرْدٍ آخَرَ يَرَاهُ أَكْثَرَ احْتِيَاجًا. يَقُولُ اللهُ تَعَالَى:
"... وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ.." (سورة الحشر آية 9).
وَهَذَا مَا فَعَلَهُ الصَّدِيقَانِ صَالِحٌ وَإِبْرَاهِيمُ.



صَالِحٌ وَإِبْرَاهِيمُ صَدِيقَانِ مِنْ أَهْلِ الرِّيفِ، وَمِنْ قَرْيَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهُمَا يَتَّسِمَانِ بِالصَّلَاحِ وَالتَّقْوَى، وَيُحِبَّانِ الْخَيْرَ لِلْجَمِيعِ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا يَمْتَلِكُ أَرْضًا زِرَاعِيَّةً مُجَاوِرَةً لِأَرْضِ الآخَرِ. وَاحْتَاجَ "إِبْرَاهِيمُ" يَومًا لِقَدْرٍ كَبِيرٍ مِنَ الْمَالِ.



فَفَكَّرَ أَنْ يَبِيعَ أَرْضَهَ الزِّرَاعِيَّةَ، فَعَرَضَ أَرْضَهُ عَلَى جَارِهِ "صَالِحٍ، فَوَافَقَ عَلَى شِرَاءِ أَرْضِ جَارِهِ إِبْرَاهِيمَ، وَأَعْطَاهُ مَا طَلَبَهُ مِنْ مَالٍ فِي مُقَابِلِ هَذِهِ الْأَرْضِ.



وَفِي الْيَومِ التَّالِى بَدَأَ "صَالِحٌ" يُعِدُّ الْأَرْضَ الَّتِي اشْتَرَاهَا لِلزِّرَاعَةِ، فَقَامَ بِحَرْثِهَا اسْتِعْدادًا لِوَضْعِ الْبُذُورِ فِيهَا، وَأَثْنَاءِ عَمَلِيَّةِ الْحَرْثِ، اصْطَدَمَ الْمِحرَاثُ بِجِسْمٍ صُلْبٍ، وَعِنْدَمَا فَحَصَ "صَالِحٌ" هَذَا الْجِسْمَ، فَإِذَا بِهِ صُرَّةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْجِلْدِ الْقَدِيمِ، وَعِنْدَمَا فَتَحَهَا صَاحَ مُتَعَجِّبًا مِنْ هَوْلِ الْمُفَاجَأَةِ، حَيْثُ وَجَدَ فِيهَا كِمِّيَةً كَبِيرَةً مِنْ نُقُودٍ ذَهَبِيَّةٍ، وَقِطَعٍ كَثِيرَةٍ مِنْ أَحْجَارٍ كَرِيمَةٍ وَبَعْدَ أَنْ زَالَتْ دَهْشَةُ "صَالِحٍ" مِنْ عُثُورِهِ عَلَى الْكَنْزِ، أَخَذَ يُفَكِّرُ حَتَّى اتَّخَذَ قرَارًا خَطِيرًا.



وَتَوَجَّهَ إِلَى صَدِيقِهِ "إِبْرَاهِيمَ" . وَحَكَى لَهُ الْحِكَايَةَ كَامِلَةً. وَقدمَ لَهُ الْكَنْزَ وَقَالَ:

- أَخِي الْكَرِيمَ هَذَا الْكَنْزُ لَيْسَ لِى، بَلْ هُوَ لَكَ؛ لِأَنَّنِي اشْتَرَيْتُ الْأَرْضَ فَقَطَ...

رَفَضَ إِبْرَاهِيمُ عَرْضَ صَدِيقِهِ "صَالِحٍ" وَقَالَ لَهُ:

- أَخِى صَالِحُ هَذَا الْكَنْزُ لَيْسَ لِي، بَلْ هُوَ لَكَ؛ لِأَنَّنِى بِعْتُكَ الْأَرْضَ بِمَا فِيهَا.

وَأَخَذَ كُلٌّ مِنَ الصَّدِيقَيْنِ يُؤْثِرُ صَدِيقَهُ عَلَى أَحقِّيَتِهِ فِي الْكَنْزِ.



وَعِنْدَمَا لَمْ يَتَّفِقِ الصَّدِيقَانِ، عَرَضَا الْقَضِيَّةَ عَلَى قَاضِي الْبَلْدَةِ، الَّذِى ابْتَسَمَ عِنْدَمَا عَرَفَ جَوَانِبَهَا وَقَالَ: حَيْثُ إِنَّ كُلًّا مِنْكُمَا يُؤْثِرُ صَاحِبَهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَ الْكَنْزَ لِنَفْسِهِ،



فَإِنِّـي أَقْتَرِحُ أَنْ يَتَزَوَّجَ الشَّـابُّ "خَالِدٌ" بنُ صَالِحٍ،
مِنَ الْفَتَاةِ "يَاسَمِينَ" ابْنَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَيَكُونَ هَذَا
الْكَنْزُ هُوَ رَأْسَ مَالِ حَيَاتِهِمَا الْجَدِيدَةِ.



قالَتِ التِّلْمِيذَةُ: مَا أَجْمَلَ هَذَا الإِيثَارَ ، فَإِنَّهُ يَنْشُرُ الْحُبَّ وَالْوِدَّ وَالسَّعَادَةَ بَيْنَ النَّاسِ، وَ مَا عَكْسُ قِيمَةِ الْإِيثَارِ يَا أُسْتَاذِي؟
أَجَابَ الْأُسْتَاذُ: عَكْسُ الإِيثَارِ رَذِيلَةُ الْأَنَانِيَّةِ، وَهِيَ آفَةٌ ذَمِيمَةٌ، مَنْ يُصَبْ بِهَا لَا تَرَى عَيْنَاهُ إِلَّا نَفْسَهُ، وَكُلُّ أَهْدَافِهِ أَنْ يَخْدِمَ مَنْفَعَتَهُ الْخَاصَّةَ فَقَطْ، وَيَنْحَصِرُ تَفْكِيرُهُ فِي ذَاتِهِ، لَيْسَ لَدَيْهِ أَعَزُّ مِنْ نَفْسِهِ وَكُلُّ هَمِّهِ أَنْ يَأْخُذَ، وَلَا يُعْطِي شَيْئًا.



وَأَذْكُرُ هُنَا حِكَايَةَ الْوَلَدِ الْأَنَانِيِّ "قاسِمٍ" الَّذِى كَانَ يَسِيرُ هُوَ وَصَدِيقُهُ "شَامِي" فِي طَرِيقٍ زِرَاعِيٍّ، وَفَجْأَةً قَالَ "شَامِي" لِصَدِيقِهِ "قاسِمٍ": أُنْظُرْ يَا قاسِمُ إِلَى هَذِهِ الْحَقِيبَةِ الَّتِي تُوجَدُ أَسْفَلَ تِلْكَ النَّخْلَةِ. وَجَرَى "قاسِمٌ" ليأخذها...



الْتَقَطَ "قاسِمٌ" الْحَقِيبَةَ وَفَتَحَهَا، فَوَجَدَ فِيهَا قَدْرًا كَبِيرًا مِنْ أَمْوَالٍ وَرَقِيَّةٍ فَضَحِكَ "قاسِمٌ" وَقالَ: هَذِهِ الْأَمْوَالُ سَتَجْعَلُنِي ثَرِيًّا وَأُحَقِّقُ كُلَّ مَا أَتَمَنَّى، قالَ لَهُ "شَامِي": بَلْ قُلْ سَتَجْعَلُنَا، أَنَا وَأَنْتَ، فَنَحْنُ شَرِيكَانِ فِي هَذِهِ الْحَقِيبَةِ أَنَا رَأَيْتُهَا وَأَنْتَ الْتَقَطْتَهَا.



فَرَدَّ "قاسِمٌ": الْحقِيبَةُ حَقِيبَتِي وَالْمَالُ مَالِي وَلَيْسَ لَكَ عِنْدِى شَىءٌ... وَحَاوَلَ "شَامِى" أَنْ يُثْنِي "قاسِماً" عَنْ رَأْيِهِ دُونَ جَدْوَى، وَأَخَذَ "قاسِمٌ" الْحقِيبَةَ وَظَلَّ يَجْرِى مُسْرِعًا بَعِيدًا عَنْ "شَامِى" الَّذِى حَزِنَ أَشَدَّ الْحزْنِ عَلَى أَنَانِيَّةِ صَدِيقِهِ "قاسِمٍ".



وَجَلَسَ فِى ظِلِّ شَجَرَةٍ يُفَكِّرُ فِيمَا حَدَثَ، وَبَعْدَ فَتْرَةٍ قَامَ لِيَسِيرَ فِى الطَّرِيقِ، وَبَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ وَجَدَ "قاسِمًا" وَهُوَ مُلْقَى عَلَى الْأَرْضِ وَقَدْ أُصِيبَ فِي رَأْسِهِ وَجِسْمِهِ إِصَابَاتٍ عَدِيدَةً وَالدِّمَاءُ تَنْزِف مِنْهُ بِغَزَارَةٍ...



وَعَرَفَ "شَامِى" أَنَّ أَحَدَ قُطَّاعِ الطُّرِقِ
هَجَمَ عَلَيْهِ وَضَرَبَهُ بِعَصًا غَلِيظَةٍ عَلَى
رَأْسِهِ وَجِسْمِهِ وَأَخَذَ الْحَقِيبَةَ وَرَحَلَ،
قَالَ "شَامِى": لَوْ كُنَّا مَعًا لَتَغَلَّبْنَا عَلَى
هَذَا الْمُجْرِمِ، وَلَكِنَّ أَنَانِيَّتَكَ هِيَ السَّبَبُ..



قَالَ التِّلْمِيذُ وَالتِّلْمِيذَةُ مَعًا: مَا أَبْغَضَ هَذِهِ الأَنَانِيَّةَ.
قَالَ الأُسْتَاذُ: مَا اسْتَحَقَّ أَنْ يُولَدَ مَنْ عَاشَ لِنَفْسِهِ فَقَطْ.

